الباب الأول
التزام الدين
الإيمان والإسلام والإحسان

إن أول واجب يجب على كل مُكَلَّف: هو الإيمان بالله تعالى، والإسلام له عز وجل، والإحسان في ذلك كله.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٢)﴾ [البقرة: ٢١ - ٢٢].

فإن الخطاب في هذه الآية، مُوجه إلى الناس، وهم الذين ذُكروا في أول السورة، وهم: المتقون، والكافرون، والمنافقون.

قال الإمام البيضاوي - رحمه الله تعالى - في تفسيره:

"لما عَدَّدَ فرق المكلَّفين، وذكر خواصهم ومصارف أمورهم، أقبل عليهم بالخطاب على سبيل الالتفات هزًا للسامع، وتنشيطًا له، واهتمامًا بأمر العبادة، وتفخيمًا لشأنها، وجبرًا لكلفة العبادة بلذة المخاطبة". اهـ.

والعبادة المأمور بها في هذه الآية. تختلف باختلاف المُنادين:

فأمر المؤمنين بها: الزيادة فيها، والمواظبة عليها، والاستدامة.

وأمر الكافرين بها: أن يتوبوا عن الكفر، ويؤمنوا بالله تعالى، ويوحدوه، ويؤمنوا برسوله.

وأمر المنافقين بها: أن يتوبوا عن نفاقهم، فيكفوا عنه، ويؤمنوا بالله تعالى وبرسوله.

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"**واختُلف من المراد بالناس هنا على قولين:**

أحدهما: الكفار الذين لم يعبدوه، يدل عليه قوله: ﴿ **وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ** ﴾ .

الثاني: أنه عام في جميع الناس، فيكون خطابه للمؤمنين باستدامة العبادة، وللكافرين بابتدائها. وهذا حسن.

والعبادة هنا: عبارة عن توحيده، والتزام شرائع دينه. وأصل العبادة الخضوع والتذلل".

وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا (١٣٦)** ﴾ [النساء: ١٣٦].

قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"**يأمر تعالى عباده المؤمنين**: بالدخول في جميع شرائع الإيمان، وشُعَبِه، وأركانه، ودعائمه، وليس هذا من باب تحصيل الحاصل، بل من باب تكميل الكامل، وتقريره، وتثبيته،والاستمرار عليه كما يقول المؤمن في كل صلاة ﴿ **اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾ أي بصرنا فيه، وزدنا هدى وثبتنا عليه، فأمرهم بالإيمان به وبرسوله، كما قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ** ﴾ [الحديد : ٢٨] . اهـ.

وقال العلامة الشوكاني ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"قوله: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ** ﴾ أي: اثبتوا على إيمانكم، ودوموا عليه، والخطاب هنا للمؤمنين جميعًا " . اهـ.

وقال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"قوله تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا** ﴾ الآية نزلت في جميع المؤمنين ،

والمعنى: يا أيها الذين صدَّقوا، أقيموا على تصديقكم، واثبتوا عليه". اهـ.

وقال الواحدي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ أي: اثبتوا على الإيمان". اهـ.

وقال تعالى: ﴿ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) ﴾ [البقرة: ١٣٢].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

قال الإمام القرطبي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: إيجاز بليغ. والمعنى: الزموا الإسلام ودوموا عليه، ولا تفارقوه حتى تموتوا. فأتى بلفظ موجز يتضمن المقصود، ويتضمن وعظًا وتذكيرًا بالموت، وذلك أن المرء يتحقق أنه يموت ولا يدري متى، فإذا أُمر بأمر لا يأتيه الموت إلا وهو عليه، فقد توجه الخطاب من وقت الأمر دائبًا لازمًا".

وقال الإمام البغوي ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

"والنهي في ظاهر الكلام وقع على الموت، وإنما نهوا في الحقيقة عن ترك الإسلام، داوموا على الإسلام حتى لا يصادفكم الموت إلا وأنتم مسلمون". اهـ.

وقال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ في تفسيره:

﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾: أي حافظوا على الإسلام في حال صحتكم وسلامتكم؛ لتموتوا عليه؛ فإن الكريم قد أجرى عادته بكرمه، أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فعياذًا بالله من خلاف ذلك". اهـ.

فالثبات على الدين، والمحافظة عليه حتى الموت: وصية الأنبياء لبنيهم، وتأكيد الله تعالى بالنهي لعباده المؤمنين.

وفي الحديث: عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**مَنْ مَاتَ عَلَى شَيْءٍ بَعَثَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ**" (١).

فمن مات على الإيمان والإسلام؛ بُعِثَ عليهما، ومن مات على الكفر؛ بُعِثَ عليه، ومن مات على النفاق؛ بُعِثَ عليه.. اللهم نعوذ بك من ذلك، اللهم أمتنا على الإيمان والإسلام والإحسان.

والدين الذي يلزم الثبات عليه، والالتزام به حتى الممات، مجموعةٌ أركانه الركينة في هذا الحديث:

عَنْ أَبِي زُرْعَةَ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: مَا الإِيمَانُ؟، قَالَ: "**الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ**". قَالَ: مَا الإِسْلامُ؟، قَالَ: "**الإِسْلامُ: أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَلا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ**". قَالَ: مَا الإِحْسَانُ؟، قَالَ: "**أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ**". قَالَ: مَتَى السَّاعَةُ؟، قَالَ: "**مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا: إِذَا وَلَدَتِ الأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الإِبِلِ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ، فِي خَمْسٍ لا يَعْلَمُهُنَّ إِلا اللَّهُ**". ثُمَّ تَلا النَّبِيُّ ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية [لقمان: ٣٤]. ثُمَّ أَدْبَرَ؛ فَقَالَ: "رُدُّوهُ". فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا؛ فَقَالَ: "هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاسَ دِينَهُمْ".

قَالَ أَبُو عَبْدِاللَّهِ ـ أي البخاري ـ جَعَلَ ذَلِكَ كُلَّهُ مِنَ الإِيمَانِ(٢).

قال الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله تعالى ـ في "فتح الباري":

"قيل قدم السؤال عن الإيمان لأنه الأصل، وثَنَّى بالإسلام لأنه يظهر مصداق

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الإمام أحمد في «المسند» والحاكم في «المستدرك»، وانظر: «صحيح الجامع الصغير».

(٢) حديث صحيح: أخرجه البخاري، ومسلم.

الدعوى، وثلّثَ بالإحسان لأنه متعلق بهما" . اهـ.

وقال الإمام النووي ـ رحمه الله تعالى ـ في شرح صحيح مسلم:

"**قال القاضي عياض ـ رحمه الله ـ** : وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة، من عقود الإيمان، وأعمال الجوارح، وإخلاص السرائر، والتحفظ من آفات الأعمال، حتى أن علوم الشريعة كلها راجعة إليه، ومتشعبة منه. قال: وعلى هذا الحديث وأقسامه الثلاثة، ألفنا كتابنا الذي سميناه: "بـ المقاصد الحسَان فيما يلزم الإنسان" . إذ لا يشذ شيء من الواجبات، والسنن، والرغائب، والمحظورات، والمكروهات، عن أقسامه الثلاثة. والله أعلم" .

مطلب في: وسائـــل الثبات على الدين:

قال الشيخ محمد المنجد ـ حفظه الله ـ في "وسائل الثبات على دين الله" :

"ومن رحمة الله عز وجل بنا أن بين لنا في كتابه وعلى لسان نبيه وفي سيرته، وسائل كثيرة للثبات. أستعرض معك أيها القارئ الكريم بعضًا منها:

أولاً: الإقبال على القرآن:

القرآن العظيم وسيلة الثبات الأولى، وهو حبل الله المتين، والنور المبين، من تمسك به عصمه الله، ومن اتبعه أنجاه الله، ومن دعا إليه هُدي إلى صراط مستقيم.

ثانيا: التزام شرع الله والعمل الصالح:

قال الله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ (٢٧) ﴾ [إبراهيم: ٢٧] .

قال قتادة: "أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وفي الآخرة في القبر" . وكذا روي عن غير واحد من السلف «تفسير القرآن العظيم لابن كثير» .

وقال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا ﴾ [النساء:

٦٦]. أي على الحق.

ثالثًا: تدبر قصص الأنبياء، ودراستها؛ للتأسي والعمل:

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ (١٢٠) ﴾ [هود: ١٢٠].

فما نزلت تلك الآيات على عهد رسول الله ﷺ ، للتلهِّي والتَّفكُّه، وإنما لغرض عظيم هو تثبيت فؤاد رسول الله ﷺ وأفئدة المؤمنين معه.

رابعًا: الدعاء:

من صفات عباد الله المؤمنين أنهم يتوجهون إلى الله بالدعاء أن يثبتهم:

﴿ رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ [آل عمران : ٨] ، ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا ﴾ [البقرة : ٢٥٠] . ولما كانت «**قلوب بني آدم كلها بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء**» كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: «**يا مُقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك**» .

خامسًا: ذكر الله :

وهو من أعظم أسباب التثبيت ، تأمل في هذا الاقتران بين الأمرين في قوله عز وجل: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) ﴾ [الأنفال: ٤٥]. فجعله من أعظم ما يعين على الثبات في الجهاد.

سادسًا: الحرص على أن يسلك المسلم طريقًا صحيحًا:

والطريق الوحيد الصحيح الذي يجب على كل مسلم سلوكه هو طريق أهل السُّنَّة والجماعة، طريق الطائفة المنصورة والفرقة الناجية، أهل العقيدة الصافية، والمنهج السليم، واتباع السُّنَّة والدليل، والتميز عن أعداء الله ومفاصلة أهل الباطل.

سابعًا: التربية:

التربية الإيمانية العلمية الواعية المتدرجة عامل أساسي من عوامل الثبات.

التربية الإيمانية: التي تحيي القلب والضمير، بالخوف والرجاء والمحبة، المنافية للجفاف الناتج من البعد عن نصوص القرآن والسُّنَّة، والعكوف على أقاويل الرجال.

التربية العلمية: القائمة على الدليل الصحيح،المنافية للتقليد والأمعية الذميمة.

التربية الواعية: التي لا تعرف سبيل المجرمين، وتدرس خطط أعداء الإسلام، وتحيط بالواقع علمًا، وبالأحداث فهمًا وتقويمًا، المنافية للانغلاق والتقوقع على البيئات الصغيرة المحدودة.

التربية المتدرجة: التي تسير بالمسلم شيئًا فشيئًا، ترتقي به في مدارج كماله بتخطيط موزون، والمنافية للارتجال والتسرع والقفزات المحطمة.

ثامنًا: الثقة بالطريق:

لا شك أنه كلما ازدادت الثقة بالطريق الذي يسلكه المسلم، كان ثباته عليه أكبر.. ولهذا وسائل منها:

■ استشعار أن الصراط المستقيم الذي تسلكه - يا أخي - ليس جديدًا، ولا وليد قرنك وزمانك، وإنما هو طريق عتيق (عتيق صفة مدح) قد سار فيه من قبلك الأنبياء، والصديقون، والعلماء، والشهداء، والصالحون، فتزول غربتك، وتتبدل وحشتك أنسًا،وكآبتك فرحًا وسرورًا؛لأنك تشعر بأن أولئك كلهم أخوة لك في الطريق والمنهج.

■ الشعور بالاصطفاء، قال الله عز وجل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ﴾ [النمل : ٥٩].

وقال: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [فاطر: ٣٢].

وقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [يوسف: ٦].

وكما أن الله اصطفى الأنبياء، فللصالحين نصيب من ذلك الاصطفاء، وهو ما ورثوه من علوم الأنبياء.

ماذا يكون شعورك لو أن الله خلقك جمادًا، أو دابة، أو كافرًا ملحدًا، أو داعيًا إلى

بدعة، أو فاسقًا، أو مسلمًا غير داعية لإسلامه، أو داعية في طريق متعدد الأخطاء؟ ، ألا ترى أن شعورك باصطفاء الله لك، وأنْ جعلك داعية من أهل السُّنَّة والجماعة؛ من عوامل ثباتك على منهجك وطريقك؟

تاسعًا: ممارسة الدعوة إلى الله عزوجل:

النفس إن لم تتحرك تأسن، وإن لم تنطلق تتعفن، ومن أعظم مجالات انطلاق النفس: الدعوة إلى الله، فهي وظيفة الرسل، ومخلصة النفس من العذاب؛ فيها تتفجر الطاقات، وتنجز المهمات ﴿ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ ﴾[الشورى : ٥١] . وليس يصح شيء يقال فيه "فلان لا يتقدم ولا يتأخر" . فإن النفس إن لم تشغلها بالطاعة؛ شغلتك بالمعصية، والإيمان يزيد وينقص.

والدعوة إلى المنهج الصحيح – ببذل الوقت، وكدّ الفكر، وسعي الجسد، وانطلاق اللسان، بحيث تصبح الدعوة هَمَّ المسلم وشغله الشاغل – يقطع الطريق على محاولات الشيطان بالإضلال والفتنة.

زد على ذلك ما يحدث في نفس الداعية من الشعور بالتحدي تجاه العوائق، والمعاندين، وأهل الباطل، وهو يسير في مشواره الدعوي، فيرتقي إيمانه، وتقوى أركانه.

فتكون الدعوة بالإضافة لما فيها من الأجر العظيم، وسيلة من وسائل الثبات، والحماية من التراجع والتقهقر، لأن الذي يُهاجم لا يحتاج للدفاع، و الله مع الدعاة يثبتهم ويسدد خطاهم، والداعية كالطبيب يحارب المرض بخبرته وعلمه، وبمحاربته في الآخرين فهو أبعد من غيره عن الوقوع فيه.

عاشرًا: الالتفاف حول العناصر المثبتة:

تلك العناصر التي من صفاتها ما أخبرنا به عليه الصلاة والسلام: « **إن من الناس ناسًا مفاتيح للخير مغاليق للشر** » حديث حسن رواه ابن ماجة عن أنس مرفوعًا

٢٣٧ ،وابن أبي عاصم في كتاب السُّنَّة ١ / ١٢٧ وانظر السلسلة الصحيحة ١٣٣٢ .

البحث عن العلماء والصالحين والدعاة المؤمنين، والالتفاف حولهم معين كبير على الثبات. وقد حدثت في التاريخ الإسلامي فتن ثَبَّتَ الله فيها المسلمين برجال.

ومن ذلك: ما قاله علي بن المديني رحمه الله تعالى: « أعز الله الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة » .

الحادي عشر: الثقة بنصر الله . وأن المستقبل للإسلام:

نحتاج إلى الثبات كثيراً عند تأخر النصر، حتى لا تَزِلَّ قدم بعد ثبوتها، قال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ (١٤٦) وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (١٤٧) فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (١٤٨) ﴾ .

[آل عمران: ١٤٦-١٤٨].

ولما أراد رسول الله أن يُثبِّت أصحابه المعذَّبين ؛ أخبرهم بأن المستقبل للإسلام في أوقات التعذيب والمحن فماذا قال؟ .

جاء في حديث خباب رضي الله عنه مرفوعاً عند البخاري: **«وليُتمَّنَّ الله هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، ما يخاف إلا الله والذئب على غنمه»**. رواه البخاري، انظر فتح الباري [٧ / ١٦٥] .

فعرض أحاديث البشارة، بأن المستقبل للإسلام على الناشئة؛ مهم في تربيتهم على الثبات.

الثاني عشر: معرفة حقيقة الباطل. وعدم الاغترار به:

في قول الله عز وجل: ﴿ لا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٩٦) ﴾ [آل عمران: ١٩٦] . تسرية عن المؤمنين وتثبيت لهم.

وفي قوله عز وجل: ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ﴾ [الرعد: ١٧]. عبرة لأولي الألباب في عدم الخوف من الباطل والاستسلام له.

ومن طريقة القرآن فضح أهل الباطل وتعرية أهدافهم ووسائلهم ﴿ وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ (٥٥) ﴾ [الأنعام: ٥٥]. حتى لا يؤخذ المسلمون على حين غرة، وحتى يعرفوا من أين يؤتى الإسلام.

الثالث عشر: استجماع الأخلاق المعينة على الثبات:

وعلى رأسها الصبر، ففي حديث الصحيحين: (**وما أُعطِيَ أحد عطاءً خيراً وأوسع من الصبر**) رواه البخاري في كتاب الزكاة « باب الاستعفاف عن المسألة » ومسلم في كتاب الزكاة « باب فضل التعفف والصبر»، وأشد الصبر عند الصدمة الأولى، وإذا أصيب المرء بما لم يتوقع؛ تحصل النكسة، ويزول الثبات إذا عدم الصبر.

الرابع عشر: وصية الرجل الصالح:

عندما يتعرض المسلم لفتنة ويبتليه ربه ليمحصه، يكون من عوامل الثبات أن يقيض الله له رجلاً صالحًا يعظه ويثبته، فتكون كلمات ينفع الله بها، ويسدد الخطى، وتكون هذه الكلمات مشحونة بالتذكير بالله ، ولقائه، وجنته، وناره.

الخامس عشر: التأمل في نعيم الجنة، وعذاب النار، وتذكر الموت:

والجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومحط رحال المؤمنين، والنفس مفطورة على عدم التضحية، والعمل والثبات إلا بمقابل يهوّن عليها الصعاب، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق.

فالذي يعلم الأجر؛ تهون عليه مشقة العمل، وهو يسير ويعلم بأنه إذا لم يثبت؛ فستفوته جنة عرضها السموات والأرض، ثم إن النفس تحتاج إلى ما يرفعها من الطين الأرضي، ويجذبها إلى العالم العلوي.

وكان النبي ﷺ يستخدم ذكر الجنة في تثبيت أصحابه، ففي الحديث الحسن

الصحيح: مر رسول الله ﷺ بياسر وعمار وأم عمار، وهم يؤذون في الله تعالى؛ فقال لهم: «**صبراً آل ياسر، صبراً آل ياسر؛ فإن موعدكم الجنة**» رواه الحاكم [٣/٣٨٣]، وهو حديث حسن صحيح، انظر تخريجه في فقه السيرة تحقيق الألباني [ص١٠٣].

وكذلك كان ﷺ يقول للأنصار: « **إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني على الحوض** » [متفق عليه].

وكذلك من تأمل حال الفريقين في القبر، والحشر، والحساب، والميزان، والصراط، وسائر منازل الآخرة.

كما أن تذكر الموت يحمي المسلم من التردّي، ويوقفه عند حدود الله فلا يتعداها؛ لأنه إذا علم أن الموت أدنى من شراك نعله، وأن ساعته قد تكون بعد لحظات، فكيف تُسوِّل له نفسه أن يَزِلَّ، أو يتمادى في الانحراف، ولأجل هذا قال ﷺ: "**أكثروا من ذكر هادم اللذات**". رواه الترمذي [٢/٥٠] وصححه في إرواء الغليل [٣/١٤٥]. اهـ. باختصار.

فالثبات الثبات على دينك، عَضّ عليه بالنواجذ، داوم عليه، واسأل الله تعالى ذلك.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ؛ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ**" (١).

قال العلامة المباركفوري - رحمه الله تعالى - في "تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي":

"قوله: « **يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ، الصَّابِرُ فِيهِمْ** » : أي في أهل ذلك الزمان.

« **عَلَى دِينِهِ** » : أي على حفظ أمر دينه؛ بترك دنياه.

« **كَالْقَابِضِ** » : أي كصبر القابض في الشدة، ونهاية المحنة.

« **عَلَى الْجَمْرِ** » : جمع الجمرة وهي شعلة من نار.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه الترمذي، وانظر: صحيح الجامع.

قال الطيبي: المعنى: كما لا يقدر القابض على الجمر أن يصبر لإحراق يده، كذلك المتدين يومئذ لا يقدر على ثباته على دينه، لغلبة العصاة والمعاصي، وانتشار الفسق وضعف الإيمان. انتهى.

وقال القاري: الظاهر أن معنى الحديث: كما لا يمكن القبض على الجمرة، إلا بصبر شديد وتحمل غلبة المشقة، كذلك في ذلك الزمان، لا يتصور حفظ دينه ونور إيمانه إلا بصبر عظيم".

وقال العلامة المناوي - رحمه الله تعالى - في "فيض القدير":

"شبه المعقول بالمحسوس، أي الصابر على أحكام الكتاب والسُّنَّة، يقاسي بما يناله من الشدة والمشقة من أهل البدع والضلال، مثل ما يقاسيه من يأخذ النار بيده ويقبض عليها، بل ربما كان أشد، وهذا من معجزاته ﷺ؛ فإنه إخبار عن غيب وقد وقع". اهـ.